رئيس الجمعية الإسلامية للإصلاح في مالي

(الشيخ : أبوبكر كمارا) ..

في حوار مع مجلة قراءات أفريقية

إعداد: مجلة قراءات أفريقية

مجلة قـراءات: نرحـب بفضيلتكم في هذا اللقاء، ونـود أن نقدم في البدء نبذة موجزة عنكم لقرائنا الكرام.

الاسم أبو بكر كمارا، من مواليد عام ١٩٥٢م في باماكو بجمهورية مالي.

دخلت الكتَّاب وعمري ســت سنوات، وختمت القرآن الكريم، ودرست كتب الفقه المالكي في بلدة يوري في إقليم (كاي)، وفيما بين ١٩٦٧م - ١٩٧٠م التحقت بمدرســة الاتحاد في مدينة براولي إقليم (سيكو)، حيث درست المرحلة الابتدائية وجزءاً من المرحلة الإعدادية، وفي عــام ١٩٧٢م حتى ١٩٧٦م عملت مدرســاً ونائباً للمدير في مدرســة الثقافة الإسلامية في باماكو.

وفي عام ١٩٧٦م التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ودرســت المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية والدراسات العليا حتى ١٩٨٦م، وكنت في هذه المدة نفسها عضواً في مكتب رابطة طلبة مالي في الســعودية، وشاركت في تنظيم أعمال الحج مع البعثة الرسمية للحجاج في السعودية.

وفي المدة من عام ١٩٨٧م حتى ١٩٩٠م عملت مرشــداً دينياً في مساجد أبو ظبي بدولة الإمارات العربيــة المتحــدة، كما عملــت فيها أيضــاً إماماً وخطيباً بالتعاون مع آخرين لمدة ســنة، وعملت في مجال التدريس في المعاهد والمدارس الإسلامية في باماكو.

وفيمــا بــين ١٩٩١م وحتى ٢٠٠٢م شــاركت وترأست دورات وملتقيات وندوات في دول مختلفة (توجو، موريتانيا، غانا، السعودية، السنغال، ساحل العاج، مالي، نيجيريا).

أما الآن فأمارس العديد من الأعمال، ولي كثير من المشاركات في جوانب متعددة، ومن ذلك:

- مؤسس ومدير عام معهد العلوم الإسلامية في باماكو.
- رئيس الجمعية الإسلامية للإصلاح.
- الأمين العام لرابطــة الأئمة والعلماء للتضامن في مالي.
- عضو المجلــس الأعلى الإســلامي في مالي، والمقرر في مكتب العلماء بالمجلس المذكور.
- نائب مدير مكتب المنتدى الإســلامي في مالي (سابقاً).

- الأمين العام لرابطة الدعاة سابقاً، وعضو لجنة الدعوة والبحوث حالياً.
- أمين لجنة الصحافة والإعلام للاتحاد الوطني للمدارس الإسلامية في مالي.
- المشرف على الإذاعة الخاصة (إذاعة دامبي) – الفضيلة – في باماكو، وأحد مؤسسيها، ورئيس مجلس الإدارة.
- مشرف على دروس المساجد.
- مشارك في دروس التلفاز والإذاعة الوطنية في باماكو.
- رئيس لجنة الفتوى في إذاعة دامبي – باماكو.
- مشارك في دروس الإذاعة الإسلامية (صوت القرآن والحديث) في باماكو.
- إمام وخطيب المسجد الجامع في جيليبوكو.
- أما في جانب البحث والتأليف فهناك بحث التخرج في كلية الشريعة، وهو بعنوان (العموم والتخصيص عند الأصوليين)، ورسالة الماجستير في الفقه المقارن بعنوان (اللقيط وأحكامه في الشريعة الإسلامية).

وهناك أيضاً عدد من المؤلفات التي قدمتها في مجالات متنوعة؛ مثل: حكم المسبوق في الصلاة، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، الطرق المثلى للتعامل مع الصوفية، أثر التقوى في العبادات والمعاملات، الدعوة والدعاة في مالي، خواطر حول الملتقيات الماضية، سمات المجتمع في غرب أفريقيا، الإسلام في مالي، فتاوى أسبوعية في الإذاعات وعلى الهواء مباشرة.

مجلة قراءات: كيف دخل الإسلام مالي؟ وما المراحل التي مر بها حتى عصرنا الحاضر؟

يذهب كثير من الكتاب والمؤرخين إلى أن الإسلام دخل مالي مع وصول الفاتح العظيم عقبة بن نافع والياً للمرة الثانية على المغرب سنة ٦٢هـ، أي في القرن الأول الهجري، وذهب آخرون إلى القول بأنه دخل في القرن الخامس الهجري، ويمكن الجمع بين القولين بأن بداية دخول الإسلام كانت في القرن الأول الهجري، وأما الانتشار الفعلي للإسلام فكان في القرن الخامس الهجري حين أصبح الإسلام دين الدولة والسلطان، وذلك بعد أن أسقط المرابطون إمبراطورية غانا.

وهناك روايات تذكر أن الملك (تيبو تان) كان شديد الاجتهاد في نشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين، وقد اعتنق الإسلام عام ٨٣٧ م تقريباً، ولكن الملك الذي كان لإسلامه شهرة هو (واري جابي) الذي توفي عام ٤٣٢هـ الموافق ١٠٤٠م.

ومما يدل على أن الإسلام كان موجوداً في إمبراطورية غانا قبل إسلام ملوكها، أقصد على القول الأول، ما ذكره البكري الذي توفي عام ١٠٩٤م، وهو من المؤرخين الذين زاروا الإمبراطورية، قال: (ومدينة غانا مدينتان سهليتان، إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون، وفيها فقهاء وحملة علم، وحواليها آبار عذبة، منها يشربون، وعليها يسقون الخضروات.

ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة، والمساكن بينها مفصلة، ومبانيها من الحجارة وخشب السنط، وللملك قصر وقباب، وقد أحاط بذلك حائط كالسور، وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك، وحول مدينة الملك قباب وغابات تسكن فيها السحرة، ويقيمون دينهم فيها).

وبقي الأمر كذلك حتى مجيء الاستعمار الغربي الذي قضى على الدولة، ومن ثم استولت الصوفية على العوام وصار للإسلام بينهم شكل آخر.

أما التوجه السلفي فقد بدأ في الظهور بعد عودة مجموعة الإخوة الأربعة من الأزهر، وتوالى

وصول مشايخ آخرين من بلاد الحرمين الشريفين، ومع وفود الحجاج.

وفـي ١٩٤٧م وقعت مصادمات دموية بين أهل السـنة وغيرهم، ثم هدأت الأمـور بتكوين جمعية مالي للاتحاد، وهي تضـم جميع الطوائف الدينية من أهل السنة وغيرهم، ثم توالى وصول الخريجين من الجامعات الإسـلامية بعد عام ١٩٨٠م، ودخلت الحركة في أبعاد أخرى.

ومنـذ عـام ١٩٩١م حدثت تغيرات سياسـية واجتماعية في البلاد، وتأسست جمعيات إسلامية عديـدة، وبلغ عـدد الجمعيات التـي تعترف بها الحكومـة ١١٤ جمعية إسـلامية، ومع اكتسـاب القائمين على هذه الجمعيات خبرة بالواقع والعمل الميدانـي والمؤسسـي؛ رأوا أهمية وجود مؤسسـة تجمع بينهم، فقاموا بإنشـاء رابطة الأئمة والعلماء في مالي، بهدف التنسـيق بين أعمال جميع الأئمة، وتسـهيل الاتصال بينهم، وتهيئـة الأجواء لتحقيق مبدأ التشـاور في أعمالهم، والترفع عن الخلافات المذهبية لتحقيق وحدة المسـلمين، كما تم إنشـاء المجلس الأعلى الإسـلامي في مالي، وهي جمعية ذات صبغـة حكومية، تهدف إلى إيجاد حلقة وصل بين الحكومة والمسلمين.

وعلى الرغم من الأحوال الجيدة للمسلمين في مالي الآن؛ فإن التغيرات السريعة والغامضة تفوق مسـتوى تفكير كثير منهم ومسـتوى إدراكهم؛ وهو ما يوقعهم في دائرة اسـتغلال أعدائهم، والساحة هناك كالأرض الموات من أحياها فهي له، ولا تحقيق لمصلحة إلا لمن اغتنم الفرصة.

■ **مجلـة قراءات: كان لمحضـن العلم (تمبكتو) دور بارز في نشـر العلم وتخريج العلماء؛ فما واقعه الآن؟ وكيف يقرأ فضيلتكم مسـتقبل الحراك العلمي في مالي في وقتنا الراهن؟**

في الماضي كانت مدينـة تمبكتو محضناً للعلم ومركزاً ثقافياً ومثالاً حضارياً، واشـتهرت بنشـر العلـم وتخريج العلماء، ووجـود آلاف المخطوطات فـي مركـز أحمد بابـا والمكتبـات الخاصة دليل على ذلك، ولكن الاسـتعمار الغربي خاف من هذا الواقع، فوضع خططاً محكمة لتغريب المدينة ثقافياً وعلمياً، فأسسوا المدارس الفرنسية الثابتة والمتنقلة، وخصّصوا لذلك مبالغ ضخمة، وبذلوا جهوداً جبارة، وفي النهاية نجحوا في تحقيـق أهدافهم، حتى لا تكاد تجد مواطنـاً الآن في تمبكتو إلا ويجيد اللغة الفرنسـية، ومما زاد الطين بلة تحويل تمبكتو إلى مدينة سـياحية، وهو ما له تأثير كبير في الأخلاق والعادات والأعراف.

ولكنّ الله غالب على أمره، ففي عام ١٩٨٢م بدأ إنشاء معهد الهجرة التربوي في تمبكتو، وهو كسائر المعاهـد التكوينية يهدف إلـى تخريج معلمين، وتم افتتاحه في ١٩٩٦/٢/٢م، وتُقدر مساحة هذا المعهد بنحو ١٠ هكتارات، وهذا المعهد فريد من نوعه في عصرنا هذا، بل هو أول معهد تربوي وتكويني عربي أُسس في أفريقيا.

وأرى أن هـذا المعهد مـن المقومات التي يجب علينا المحافظـة عليها والاهتمام بهـا، مع العناية بالمنهج حتي يحقق الغرض المنشود منه.

وفي رأيي أن الحراك العلمي في مالي في وقتنا الحاضر يدعو إلى التفاؤل، ويؤذن بمسـتقبل جيد، فهناك العديد من الشواهد والمظاهر التي تدل على ذلك، منها: الصحوة العلمية التي تشهدها المساجد، حيث تُعقـد حلقـات علميـة ودروس متواصلة، ويلاحظ تزايد عدد المدارس الإسلامية، والاهتمام بتعليم الكبار، وخاصة في صفوف النسـاء، ووجود حلقات تحفيظ القرآن، وإذاعات إسـلامية خاصة، وبرامج إسـلامية في الإذاعات الحـرة الخاصة، وإجراء المسـابقات العلمية والطلابية، وتتابع تدفق الخريجين من الجامعات، وظهور جيل من الباحثين، ووجود نادي الثقافـة والأدب، وكثرة عقد الندوات الهادفة، وحلقات تفسير القرآن في كل أنحاء مالي

وخاصة في رمضان، واستعمال العديد من الدعاة لشبكة المعلومات (الإنترنت) علمياً ودعوياً.

ولكن أرى أن هذه المشروعات والنشاطات تحتاج إلى دراسة واقعية وتقويمية مستمرة، لتقديم النصائح والإرشادات المنهجية، حتى لا تخطئ الطريق ويضيع المسار.

■ **مجلة قراءات: يلاحظ وجود انحسار ظاهر في انتشار اللغة العربية في أفريقيا؛ فما مظاهر ذلك الانحسار؟ وما أسبابه؟ وكيف يتم تجاوزه؟**

اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي أنزله الله – تعالى – لهداية البشرية وسعادتهم في الدارين، ولا يخفى على مطلع في التاريخ ما ذاقه الأفارقة من ويلات عبر تاريخهم، وبمجيء الإسلام الذي أخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، وجد الأفارقة مبتغاهم وسعادتهم في الإسلام، ومن ثم اهتموا باللغة العربية حتى أصبحت لغة الإدارة لمعظم البلاد الأفريقية.

ويمكن أن نلخص تاريخ اللغة العربية في أفريقيا في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الازدهار والتطور: وتبدأ من دخول الإسلام أفريقيا إلى ما بعد دخول المحتل الغربي، وكانت اللغة العربية في معظم هذه البلاد لغة الإدارة والتعليم، وعلى الرغم من كره المحتلين الغربيين الشديد لها، فإنهم لم يتمكنوا من زحزحتها عن الأعمال الإدارية إلا بعد فترة طويلة من عهد الاحتلال.

المرحلة الثانية: مرحلة الركود والانحطاط: وتبدأ من سبعينيات القرن الماضي.

المرحلة الثالثة: مرحلة الإحياء والبعث: وتقوم هذه المرحلة في مالي مثلاً الآن على جهود الأفراد في شكل مدارس خاصة، وعلى جهود حكومية تتمثل في جعل اللغة العربية لغة ثانية في المراحل الثانوية، وإنشاء قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة باماكو.

وهناك محاولات جادة من قبل دولة الإمارات العربية المتحدة لفتح كليات عربية في جامعة باماكو تحت إشراف حكومي.

وتتمثل مظاهر انحسار اللغة العربية في أفريقيا عموماً في تهميش خريجي اللغة العربية في بعض الدول، والتظاهر بعدم حاجة بلاد بعضهم إلى هذه الشهادات، وغياب العربية في وسائل الإعلام إلا قليلاً، وعدم التخاطب بها إلا في نطاق ضيق.

ومن أهم أسباب هذا الانحسار أن المسلمين لا يتقنون لغة الإدارة في بلدانهم، وليس لهم مشاركة عملية في حل المشكلات، وقصور المناهج عن تغطية المهارات المختلفة للمسلم، مما يؤدي إلى شعوره بالدونية، ومشكلة المستقبل التوظيفي لخريجي المدارس الإسلامية، ومشكلة تمويل المدارس (مبان، مقررات، أجور المدرسين ... إلخ)، ومعظم المعلمين ليس لديهم إلمام بطرق التدريس.

وفي رأيي أنه يمكن تجاوز ذلك بتعديل المناهج الدراسية، وتحسين طرق التفكير، ودراسة اللغة الرسمية بتمكن، وشمولية المنهج، وفتح باب التخصص، وتربية روح الاجتهاد والتفكير الإبداعي في نفوس الطلاب.

■ **مجلة قراءات: لفضيلتكم اهتمام خاص بالتعليم العربي الإسلامي في مالي، فما توصيفكم لمشكلة المناهج في المدارس العربية الإسلامية؟ وهل من مقترحات لتلافيها؟**

أحمد الله – سبحانه وتعالى – أن وفقني أنا وغيري في القيام بمحاولات لنشر التعليم الإسلامي، وهذا واجب على كل مسلم ومسلمة بقدر طاقته؛ ولأني أرى أن خير وسيلة للدعوة الصحيحة والتربية الحسنة هي وجود مؤسسة تعليمية؛ فقد تم إنشاء مؤسسة تعليمية بلغ عدد المدرسين بها ٥٠ مدرساً، وعدد الطلاب ١٣٠٠ طالب وطالبة، وتضم الآن المراحل الدراسية الآتية:

روضة الأطفال، الابتدائية، الإعدادية، الثانوية، قسم تحفيظ القرآن الكريم، تعليم الكبار وخاصة تعليم النساء، الخياطة والتطريز للبنات، قسم الحاسوب قريباً بإذن الله، وأرجو من الله التوفيق والقبول، وأشكر في هذه المناسبة كل الذين أسهموا في دعم هذه المؤسسة.

أما المناهج، فالمقصود بالمنهج التربوي والتعليمي ذلك الطريق الواضح الذي يسلكه المربي أو المدرس مع من يربيهم أو يدربهم لتنمية معارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم، ولا يصح أن يهتم المنهج بنقل التراث الثقافي فقط إلى الأجيال الصاعدة، وإنما ينبغي له أن يهدف إلى إكسابهم المهارات اللازمة للتعامل مع المشكلات التي تعترض حياتهم، وأن يراعي تربية جوانب الإنسان كلها؛ حتى يكون المنهج مناسباً وفعالاً، فالله - سبحانه وتعالى - جعل في الإنسان العقل والروح وغرائز الجسد، وحدد معالم تربوية لإشباع هذه الجوانب والغرائز كلها، ولا تستقر حياة الإنسان إلا بهذا التوازن، وإلا أصبح الإنسان معوجاً أو معوقاً، وبناء على ذلك فالمناهج في المدارس الإسلامية ينبغي لها أن تأخذ في تقديرها الجوانب المختلفة للإنسان؛ من حيث الهدف والوسائل وحاجة البلاد واعتبار الواقع.

وقد كانت المدارس الإسلامية في مالي على كثرة عددها وانتشارها مختلفة المناهج، ولهذا تم وضع منهج موحد للمدارس الإسلامية العربية من قبل وزارة التربية والتعليم في عام ١٩٨٥م، وذلك بالتعاون مع مديري المدارس العربية الإسلامية في مختلف الأقاليم للمرحلة الابتدائية والإعدادية.

وفي عام ١٩٩١م تم وضع منهج مقترح للمرحلة الثانوية في مالي، وفي عام ١٩٩٩م أقامت الحكومة ندوة وطنية حول المدارس العربية الإسلامية في مالي، وكان الهدف الرئيس لهذه الندوة هو الوصول إلى أفضل صورة لدخول المدارس الإسلامية في نطاق التعليم الرسمي للبلد.

وفي عام ٢٠٠٢م بدأ تنفيذ المنهج الجديد في معظم هذه المدارس، حيث تقوم الحكومة بإجراء امتحان الشهادة الابتدائية والشهادة الإعدادية للمدارس، علماً بأنه قد تم وضع مقررات دارسية قامت الحكومة بطباعتها للمدارس العربية الإسلامية.

وسيتم إن شاء الله إجراء امتحان الشهادة الثانوية للمدارس العربية الإسلامية في العام القادم لكي يتسنى لهؤلاء الطلاب الالتحاق ببعض كليات جامعة مالي الحكومية، كما يتسنى لهم الالتحاق بالجامعات العربية الإسلامية بإذن الله.

ولكن يبقى على القائمين على هذه المدارس مسؤولية المحافظة على الهدف الذي من أجله أُنشئت هذه المدارس.

■ مجلة قراءات: ما أبرز مجالات العمل الدعوي المعاصر في مالي؟

هناك نشاطات دعوية كثيرة بارزة في العديد من مجالات الدعوة المعاصرة في مالي، تستهدف جميع الفئات، وخصوصاً الشباب والمرأة والمثقفين، ومنها على سبيل المثال: إنشاء المؤسسات التعليمية، وبناء المساجد، وتنظيم الدروس والحلقات العلمية والمحاضرات والندوات والخطب، وحلقات تحفيظ القرآن، والقوافل الدعوية والإغاثية والطبية، وتوزيع الكتب العلمية (العربية والمترجمة)، والدعوة في الحج، والدعوة عبر الوسائل الحديثة مثل شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والتلفاز، والإذاعة، والشريط الإسلامي.

■ مجلة قراءات: كيف ترون مستقبل الدعوة في مالي في ظل انحسار نشاطات المؤسسات الخيرية الإسلامية القادمة من خارج الحدود؟

أسهمت المؤسسات الخيرية الإسلامية القادمة من الخارج بدور كبير في تطور الدعوة وتطويرها في مالي، وهو ما يجب شكر الله عليه والإشادة

به، فقد قامت بإنشـاء المساجد والمراكز والمدارس، وبتكوين الدعاة علمياً وإدارياً، وذلك بإقامة الدورات والملتقيات وغيرها، حتى أصبح الدعاة العاملون في تلك المؤسسات يحظون بقبول العامة والخاصة واحترامهم.

وقد بدأ انحسار نشاط هذه المؤسسات وفاعليتها له في ظل الظروف السائدة منذ ٩/١١، حيث ظهرت صعوبات أدت إلى إعاقة عمل هذه المؤسسات ونشاطاتها، ومن ذلك صعوبة تحويل الأموال، وصعوبة استخراج التأشيرات، وتحركات الأشخاص، ومطالبة بعض الجهات بتقارير محرجة تجعل بعض النشاطات أو الأشخاص محل إدانة.

ولهذا أرى أنه إذا لم توضع خطط مرنة وعاجلة عبر مراحل انتقالية؛ فسوف تحدث مشكلات بل انتكاسات تعترض سبيل الدعوة، نسأل الله – تعالى– العافية، مثل: توقف النشاطات كلياً، وتدني المستوى المعيشي والاجتماعي للداعية، وانشغال الداعية بكسب العيش من طرق لا خبرة له فيها، وفقد ثقة المجتمع.

ولا شك أن الدعوة قد تأثرت بانحسار نشاط المؤسسات الخيرية الإسلامية، ولكن بما أن الدعوة مهمة الرسل عليهم السلام، والعلماء ورثة الأنبياء، وينبغي لكل داعية أن يرى نفسه مسؤولاً عن هذا الدين ويبذل قصارى جهده لنشره ونصرته، ويعلم أن الله سبحانه لم يوكل دينه بشخص بعينه، ومع وجود العناصر المتدربة من الدعاة إدارياً وعلمياً؛ فأرى أنه يمكن استثمار هذا الموقف في عدد من النواحي الايجابية؛ مثل: توطين الدعوة، وتحفيز الدعاة هنا نحو القيام بواجبهم، وتدريبهم على التخطيط والاختيار، ورفع قدراتهم في مجال التأصيل الشرعي الذي يحقق لهم الرؤية الواضحة للأمور، والرؤية المستقبلية، وتنشيط دوافعهم لتحقيق العمل الجماعي دون عوامل خارجية.

وأرجو مع وجود المؤسسات التعليمية والمساجد والمظاهر المحلية الأخرى التي ذكرت، ومع وجود أفراد مخلصين متعاونين في الخارج أيضاً، وربما يكون أحدهم كأمّة، أن تستمر الدعوة إن شاء الله في طريقها ولكن بشكل وطني وليس بشكل خارجي.

■ مجلة قراءات: تعمل قوى دولية وإقليمية على إحياء التصوف، وبخاصة في أفريقيا، فلماذا يحدث ذلك؟ وما مظاهر تلك الجهود؟ وكيف يقرأ فضيلتكم مستقبل التصوف في ظل تلك المؤازرة الخارجية؟

الممارسات الصوفية يعود أصلها إلى عقائد فلسفية قديمة نشأت قبل الإسلام، كفلسفة أفلاطون وغيره، غايتها كما يزعمون فتح القلب على العلوم الغيبية، والتي لا تتلقى عن الرسل، بل بطريقة الكشف من الله!

وقد انتشرت في العالم الإسلامي عقب الفتوحات، حين ازداد الرخاء والاقتصاد، كردة فعل مضاد للانغماس في الترف المادي؛ مما حمل بعضهم على الزهد والعزلة وترديد أذكار معينة لتهذيب النفس.

ومرت الصوفية بمراحل مختلفة حتى صارت مذاهب شتى لها مع وجود أهداف مشتركة بينها، منها: العزلة عن الساحة، وتفريقهم بين الشريعة والحقيقة، ورفع التكاليف عن بعض الأولياء.

لكن لماذا تعمل القوى الدولية والإقليمية المعادية للإسلام على إحياء التصوف؟ السبب يرجع إلى أن وجود الصوفية في الساحة لا يتعارض مع مطامع الغرب، وبدعمها يظهر أعداء الإسلام في الغرب أمام العالم أنهم لا يعارضون الإسلام كلية وإنما يخشون صنفاً منهم، وهم المتدينون من غير الصوفية.

ولهذا يقدّمون الدعم للتيارات الصوفية بصور عديدة؛ مثل: إنشاء مساجدهم وترميمها، وتيسير عقد الاجتماعات والندوات والملتقيات الخاصة

بهم، وإجراء البحـوث التي تخدم أهدافهم، وإقامة المشـاريع الاقتصادية لهـم، وتوفير المسـاعدات لإعانتهـم، والإشـادة بهم فـي وسـائل الإعلام والحفلات والمناسـبات، والتأثير في مناهج التعليم وقيم المجتمع وثقافتـه بإدخال المفهومات الصوفية فيها، ولتأكيد هذا الدعم يتم الترحيب بأئمتهم في زيارات للولايات المتحدة الأمريكية سنوياً؛ لإطلاعهم على أوضاعها عامة وأوضاع المسلمين في تلك الديار على وجه الخصوص.

وبمقارنـة بسـيطة ترى أن محاصرة نشـاط المؤسسات الخيرية يواكبه في الوقت نفسه بذل هذه القوى الدولية والإقليمية المعادية للإسـلام جهوداً كبيرة لإحياء التصوف، والنتائج معروفة وفق حساب البشـر، وعلى الرغم من انكشاف عقائد الصوفية وأهدافهم أمام أهل البصائر؛ فإن المصالح الدنيوية وأطماع أهل السياسة هي التي تسيطر على الأمور، ولكن ما نطمئن إليه أن الأمور كلها لله، والله غالب علـى أمره، فما كان للـه دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

ولهذا أنصح الدعاة بألا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتركوا السـاحة للتيارات المنحرفة، وليكن المؤمن كيّسـاً فطناً، ولكن أين الواعون! تلك هي المشكلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

■ **مجلـة قـراءات: الضعف التربوي، وتشـرذم الدعـاة، وتفرقهـم في البلـدان الإفريقية، من أبرز أسـباب ضعف الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر، فهل من سـبيل إلى معالجة ذلك؟**

أريد أن أضيف إلى ما قلتم من أسـباب ضعف الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر سوء التربية، وفقـدان الوعي الكافي، وقتـل روح الاجتهاد عند المسـلمين، حتى أصبح المسـلمون مقلدين في كل شـيء، لا أقول في المسـائل الدينية فقط، بل في الأمور الدنيوية أيضاً، تقليد في اللباس، والسـكن، والمركب، وطريقة التفكير، وأعداؤنا في الغرب سعوا بـكل جدٍّ إلى نزع الخلافة الإسـلامية، ولا يقبلون بوجود قيادة فعالة، حتى فقـد كثير من المسـلمين الثقة بأنفسهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والسـبيل إلى معالجة ذلك مـن وجهة نظري، يبـدأ من إدراك أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فلا بد من الرجوع إلى التربية الجادة والشـاملة، وإحياء روح الاجتهاد الشامل لا مجرد التفكير الإبداعي، والسعي إلى إيجاد قيادات شاملة سياسـية واجتماعية وعلميـة وتجارية وصناعية، والجمع بين التـوكل على الله والأخذ بالأسـباب، والوعي بالسنن الربانية الكونية.

■ **مجلة قراءات: يزعم بعض المراقبين وجود ما يشبه الردة عن منهج أهل السنّة والجماعة تقـف وراءه جهات غربيـة وأتباعها من بني جلدتنا، فنرجو مـن فضيلتكم إلقاء الضوء على حقيقة هذا الأمر.**

إذا كان المراد تصحيح الأخطاء فلا أرى ذلك ردة عن منهج أهل السـنّة والجماعة، بل أراه تصحيحاً للمسـار، وإذا كان غير ذلك بأن غيروا مناهجهم، وتنكـروا لمبادئهم، فأهل هذه الفئة مذمومون، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)، والابتلاءات سـنّة الله في خلقـه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١)، ولا شـك أن هناك من هم محسوبون على أهل السنّة ويسيئون استخدام منهجهم.

وينبغي لأهل الفكـر والقرار القيام بمراجعات موضوعيـة لواقعهـم وواقـع المسـلمين بناء على منهج أهل السـنة، فأهل السـنّة والجماعة ينبغي أن يكونوا على ما كان عليـه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ثبات الإيمان، وسلامة العقيدة، والإخلاص لله في كل شيء، وتقديم رضا الله على

رضا المخلوقين، مع الالتزام السلوكي بشعائر الدين، وسعة الصدر، ومعرفة الواقع.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم وكل من كان على سنته حقاً يحسنون التعامل مع الخلق كافة، مسلمهم وكافرهم برّهم وفاجرهم كل بحسبه، ولا يكفّرون إلا من كفّره الله، ويعون ويفقهون قواعد الاختلاف وآدابه، وخاصة الاختلاف الفقهي واختلاف الرأي، ويأخذون في الحسبان العرف والعادة، ولا يرون لأنفسهم فضلاً على غيرهم.

■ مجلة قراءات: ما أبرز مهددات الدعوة السلفية المعاصرة في دولة مالي؟

أبرز مهددات الدعوة السلفية المعاصرة في مالي قلة العلم الشرعي، وجهل بعض الدعاة ببيئاتهم، وبأعراف المجتمع وعاداته، وأدب الخلاف، وهو ما أدى إلى انتشار التكفير والتفسيق من غير تثبت ولا دليل، حتى أصبح أهل السنّة عندنا فرقاً شتى، وبلغ الأمر ببعضهم إلى أنهم لا يصلّون في مساجد الآخرين، وبدلاً من دعوة أهل الشرك والفساد إلى التوحيد وجّهوا سهامهم إلى نحور إخوانهم، هذا غير التهديدات الخارجية كالتنصير وسائر الأطماع الغربية وغيرها.

■ مجلة قراءات: يلاحظ وجود قلة في مجال التأليف في أوساط علماء الإسلام ودعاته في أفريقيا، فما الخطوات المثلى التي ترنها لمعالجة ذلك؟

بالرجوع إلى تاريخ أفريقيا تجد أن العصور الذهبية شهدت نشاطاً واسعاً في مجال التأليف، وكُتبت مؤلفات عديدة في فنون مختلفة، والمخطوطات الكثيرة في مدينة تمبكتو وجيني، وغاو، ونيور، خير دليل على ذلك.

ولكن مع سقوط الإمبراطورية وارتحال العلماء بسبب الاحتلال حدث فراغ كبير في هذا المجال، وأصبح الناس ينهجون المنهج الشفوي، أضف إلى ذلك الشعور بالدونية، وهبوط الهمة، والتبعية للغير، وانتشار التصوف الذي أدى إلى الخمول الذهني، واستيلاء الشعوذة والخرافة.

وأرى أن نبدأ معالجة هذه المشكلة باكتشاف ذوي المواهب والكفاية العلمية، وتوجيههم إلى اختيار الموضوعات المهمة والمناسبة، وتشجيع النابغين بإقامة المسابقات وطرح الدورات وطبع إنتاجا تهم، وتجنيد مجموعة لهذه المهمة، وكفالتهم، وإيجاد مشروعات مناسبة لهم.

■ مجلة قراءات: قام فضيلتكم بزيارة الولايات الأمريكية بدعوة من سفارتها في مالي بعد أحداث ٩/١١؛ فما أهداف تلك الدعوة؟ وكيف رأيتم أمريكا من خلالها؟

تمت الزيارة في المدة من ٩/٢٤ إلى ٢٠٠٥/١٠/١٦م، بدعوة من سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في مالي، وكانت تهدف إلى الاطلاع على واقع الإسلام والمسلمين في أمريكا، ولذا فقد تم إعداد برامج مركزة لهذه الزيارة، شملت الزيارة خمس مدن في خمس ولايات، وهي:

١. واشنطن العاصمة، من ٢٤ إلى ٢٠٠٥/٩/٢٩م.
٢. سراكس - ولاية نيويورك، من ٩/٢٩ إلى ٢٠٠٥/١٠/٤م SYRACUSE. NEWYORK.
٣. سيسناري، من ٤ إلى ٢٠٠٥/١٠/٦م CINCINNATI-OHIO.
٤. دالاس - ولاية تكساس، من ٦ إلى ٢٠٠٥/١٠/١٢م DALLAS – TOYAS.
٥. ولاية يوتا SALTLAKECITY UTAH، من ١٠/١٢ إلى ٢٠٠٥/١٠/١٦م.

وكانت هناك لقاءات في ٧ جامعات، ومدارس إسلامية، ومدارس غير إسلامية، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، وجمعيات، ومساجد، وجولات حرة، ولقاءات أسرية، وفي بعض مراكز البحوث، وبعض نقابات المحامين والقضاة، ولقاءات بعدد من الشخصيات البارزة.

ورأيت في أمريكا عدداً من الجوانب الإيجابية؛ منها اهتمامهم الكبير بالعلم وانتشار مراكز البحث أيضاً، والتزامهم بقوانينهم، وسعة صدورهم، والجد والمثابـرة، واحترام الغير واحتـرام رأيه مهما كان مخالفاً، وتنظيـم العمل الجماعي حتى أصبح ذلك سـمة أو عرفاً أو قانوناً عندهم، وإحياء روح العمل الطوعي في الأفراد والمؤسسات.

أما الجوانب السـلبية؛ فمنهـا جهلهم بالعالم الآخر وخاصة بالإسلام، وحسب بعض الإحصائيات فهناك ٧٥ ٪ يجهلون الإسـلام، واستغلال الحكومة جهل الشـعب بالعالم الآخـر لتنفيذ سياسـاتها الخارجية.

وقد تحققت أهداف هذه الزيارة على نحو جيد؛ حيث عرفت كثيراً من أحوال الإسلام والمسلمين في أمريكا، ووقفت على طبيعة الحياة الإسلامية هناك، وقد قدّمت لي هذه الزيارة بفضل الله، على المستوى الشخصي، إجابات لتساؤلات كثيرة، كنت في حاجة إلى معرفتها.

ولا يفوتني في هذه المناسـبة أن أشكر كل من شـارك في إنجاح هذه الزيارة، كما أشكرهم على حسن الاستقبال وكرم الضيافة.

■ **مجلـة قـراءات: تُعـد القـارة الإفريقية في الوقـت الراهن مـن مناطق الصـراع المحتدم بين المسلمين والنصارى، فإلى أين يتجه ذلك الصـراع؟ وما مظاهر النجـاح أو الإخفاق في الجانب الإسلامي؟**

التنصيـر حركة دينية سياسـية اسـتعمارية، ظهرت إثر انهزامات الصليبين، وتهدف إلى نشـر الديانة النصرانية بين الأمم والشـعوب، وبخاصة المسلمون، لإحكام السيطرة عليهم.

وكانت الحملات التنصيريـة مركزة في بدئها على مناطق النفوذ الإسلامي في الشرق، ثم امتدت إلى مختلف أقطار العالم، أما منطقة غرب أفريقيا بوجه عام، ومالي بوجه خاص، فقد دخلتها الحملات التنصيرية في القرن الخامس عشر الميلادي، ومن خلال اسـتعراض تاريخ هذه الحركة يظهر ارتباط التنصير بالاستعمار الأوروبي، وكان الهدف الرئيس لهذه الحركات في جميع مراحلها هو تشويه عقيدة المسلمين وليس تنصيرهم بالدرجة الأولى.

واعتمدت حركـة التنصير فـي أعمالها على عدة وسـائل وأسـاليب من أجل تحقيق أهدافها، من أهمهـا بناء الكنائس، وإنشـاء مراكز تكوينية، وإقامة مؤسسات تعليمية لإنشاء أجيال وشخصيات ممسوخة لا يربطها بالإسـلام إلا أسماؤها، فترى من اسمه محمد يحمل فكر (مارك).

وتسـتخدم تلك الحركات التنصيرية وسـائل عديـدة لتحقيـق أهدافهـا، كتقـديم الخدمات الاجتماعية، حيث يسـتغلون الجهل والفقر والمرض والكوارث الإنسانية للقيام بالتنصير، وأيضاً يوظفون وسائل الإعلام، والقنوات الدبلوماسية وغير ذلك.

وتمكنت تلك الحركات بمثل هذه الأساليب من تحقيق بعـض النتائج وحمل بعض المسـلمين على اعتناق النصرانية، وهم قلة والحمد لله، وإفسـاد المسـلمين عقدياً وخلقياً، وزعزعة القيم الإسلامية فـي أنفسـهم، وتحقيـق الربح المادي والمكسـب السياسي.

أما على الجانب الإسـلامي، فعلى الرغم مما جندته حركة التنصير من طاقات مادية وبشـرية، وما تملكه من وسـائل متنوعة لمحاربة الإسلام، في القارة على وجه العموم وغـرب أفريقيا على وجه الخصـوص، فإنها لم تجد الطريق أمامها سـهلاً، بل ووجهت من قبل أبنـاء القارة الذين أدركوا منذ الوهلة الأولى أن حركة التنصير متحالفة مع حركة الاسـتعمار الغربـي التي جاءت مـن أجل احتلال أرضهـم وتدميـر عقيدتهم وحضارتهـم، ومن ثم شهدت مناطق كثير من أرض القارة ملاحم بطولية، حقق المسلمون فيها انتصارات باهرة على التنصير وجيوشه.

ويمكن رؤية ذلك في ثلاث مراحل:

١. مرحلة المواجهة العسكرية: وتمثل (حركة محمد الأمين درامي) نموذجاً لهذه المرحلة.

٢. مرحلة الكلمة: وتشمل الحركات الدعوية في القارة، منذ القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، واشتغل العمل الإسلامي غير المسلح حينها بإقامة حلقات تحفيظ القرآن، وبناء المساجد، ودعوة كثير من الناس إلى اعتناق الإسلام.

٣. مرحلة الصحوة وقيام المؤسسات: وتبدأ من بدء النصف الثاني من القرن العشرين إلى الوقت الراهن، وتميزت هذه المرحلة بعودة طلاب العلم من الجامعات العربية بعد تأثرهم بالحركات الإسلامية المعاصرة، ورغبتهم في التفاعل مع المجتمع، وتأسيس جمعيات إسلامية، وانتشار المدارس الإسلامية والعربية، وفتح مكاتب لهيئات إسلامية عالمية، وتتصل الدولة عن دمج المثقفين بالعربية في الوظائف الحكومية.

وبناء على هذه المعطيات زخرت دولة مالي، كغيرها من دول المنطقة، بعد فترة وجيزة من حصولها على الاستقلال، بعدد من الجمعيات والمراكز الإسلامية التي عززت وجود الإسلام فيها، غير أن تعدد هذه الجمعيات تحول بعد فترة من الزمن إلى التشرذم والتفرق بدلاً من التعاضد والتنسيق لمواجهة العدو المشترك.

وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن مظاهر الإخفاق الخطيرة، والتي تجعل الجانب الإسلامي ضعيفاً أمام أخطار التنصير، فأول مظاهر الإخفاق هذا الضعف في التنسيق بين هذه الجمعيات في ظل تضافر الجهود بين المؤسسات التنصيرية، وكذلك عدم تركيزها على الأولويات، وافتقار كثير من القائمين على العمل الإسلامي إلى ثقافة إسلامية مؤصلة وكفاية إدارية، وضعف الإمكانات المادية لكثير من المؤسسات القائمة بالعمل الإسلامي مقارنة بالإمكانات الكبيرة للمؤسسات التنصيرية، وتمتع المؤسسات التنصيرية بامتيازات كبيرة لاحتمائها وراء الهيئات الدولية والقنوات الدبلوماسية والرسمية بخلاف الجمعيات الإسلامية.

وبالإضافة إلى هذا؛ فإن النظام السياسي المتبع في دولة مالي يخدم الكنيسة في جميع المجالات، فالتعليم لا صلة له بالإسلام، والشؤون الاجتماعية تُستغل لدعم المراكز التنصيرية، والصليب الأحمر يقدم على إسعاف الهلال.

ومن المؤسف أن معظم سفارات الدول الغربية، في العاصمة المالية باماكو، لها ملحقات ومراكز تعرف باسم (المراكز الثقافية) أو (الملحقات الثقافية)، لكنها في حقيقتها تقوم بنشاطات تنصيرية خطيرة، مثل المركز الثقافي الفرنسي، والمركز الثقافي الأمريكي، علماً بأنه لا يوجد في سفارات الدول العربية والإسلامية ملحقات ثقافية أو دينية تهتم بشؤون الإسلام والمسلمين، ولا يوجد غير جهود فردية لا تقارن بمستوى جهود الدول الغربية ومؤسساتها.

وهنا تجدر الإشادة بدور (المنتدى الإسلامي) الذي قام بجهود فريدة لترشيد الجمعيات الإسلامية، وتأهيل العاملين بها، وتنسيق جهودها، وكانت جهوده تلك على رأس العوامل الخارجية التي شجعت القائمين على العمل الإسلامي في مالي لجمع الكلمة وتوحيد الجهود والعمل على خدمة الهدف المشترك، فلهم الشكر الجزيل على ما قدموا.

وسبق أن أشرت إلى جهود الجمعيات الإسلامية في إنشاء رابطة الأئمة والعلماء في مالي، لتنسيق أعمال جميع الأئمة، وسهولة الاتصال والتشاور، والترفع على الخلافات المذهبية لتحقيق وحدة المسلمين، كما تم إنشاء المجلس الأعلى الإسلامي في مالي، وهي جمعية لها صبغة حكومية تهدف إلى

تحقيق التواصل بين الحكومة والمسلمين.

■ **مجلة قـراءات: تعاني الأمـة ضعفاً داخلياً، وتكالبـاً خارجيـاً، فمـا الخطـوات العملية للنهوض بها؟**

الحديث عن هـذا الجانب وأبعـاده الخطيرة يحتاج إلى مجلدات وبحوث لسـنوات طويلة، ولكن تكفي الإشـارة هنا إلى خطوطه العامة، فالضعف الداخلي للأمة الإسلامية سببه داء الأمم من قبلنا؛ حب الدنيـا وكراهية الآخرة، وعدم الوعي بالواقع، وعدم الفصل بين الثقافة الإسلامية العامة والثقافة العربيـة الإسـلامية؛ بمعنى عـدم اعتبار أعراف الشعوب الأخرى وعاداتهم وتقاليدهم، وفقدان روح العمل الجماعي التشـاوري، وفقدان روح التسامح، وفقدان الاجتهاد الفقهي، وعدم تملك روح المبادرة، وعدم فهم مسألة القضاء والقدر عند بعض الناس، فلجـؤوا إلى التواكل بـدلاً من التـوكل على الله، واقتصار بعض طـلاب العلم على التفقه في أبواب معينـة في الدين دون أبواب أخرى، ولذا فإنني أقر التخصص في باب ولا أقر تخصيص الإسلام بباب دون باب آخر، وقتل روح الاجتهاد عند المسلمين.

وقد تنـاول هـذه الجوانب وغيرها الشـيخ أبو الحسـن الندوي في كتابه (ماذا خسـر العالم بانحطاط المسـلمين)، ومجموعة مـن العلماء في مجلة الأمـة القطرية تحت عنـوان (أين الخلل)، والدكتـور عماد الدين خليل فـي كتاباته عن إعادة تشكيل العقل المسلم، وغيرهم كثير.

ولـم يأت التكالب الخارجـي من فراغ، بل عن طول بحث ونفس طويل، وجهـود الأعداء في هذا الجانب معروفة، ومنها على سبيل المثال وضع المعجم المفهـرس لألفاظ القرآن، ومعجـم ألفاظ أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسـلم، ودراستهم عادات المجتمعـات وتقاليدهم وأعرافهـم في الجامعات، وترحيبهم بأبناء الأمة الإسلامية وبناتها في ديارهم واعتنائهـم بهم، ولذا يتبين لكم مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كمـا تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فالقصعة معروفـة لدى الأكلة، ومجتمعات الأمة الإسـلامية معروفة الآن لدى الأعداء، سواء في جوانب ضعفها أو قوتها.

والنهوض بالأمة يلزمه أولاً إحسان التوجه إلى الله، وتصحيح مفهوم مسـألة القضاء والقدر حتى يتهيأ الناس للعمل، ويحققوا التوكل على الله والأخذ بالأسـباب؛ بدلاً من التواكل والتمني، وتنبيه الوعي العام بمكانة الأمة ومسـؤولياتها، وتنسيق الجهود، وبث روح الثقة المتبادلة، وتنشـيط العمل الجماعي، وإحياء الاجتهاد والإبداع في أبناء الأمة.